٤٨٤

# عجائب المخلوقات

## في كتاب الله

٥

# العِجل الذهب

بقلم : عبدالسلام محمد بدوى
رسوم : إسماعيل دياب

الطبعة الثالثة

دار المعارف

بسم الله الرحمن الرحيم

الناشر : دار المعارف – ١١١٩ كورنيش النيل – القاهرة ج . م . ع .

## السَّامِرِيُّ:

على أرضِ مصرَ.. فى قَدِيم الزَّمَانِ.. اتَّفَقَ موسى - عليه السلام - مع قَوْمِهِ بنى إسرائيل.. على لَيْلَةٍ يَخْرُجُونَ فيها سِرًّا مِنْ مصر.. ويَذْهَبُونَ إلَى سِينَاء.. هُرُوبًا من فِرْعَوْنَ وظُلْمِه حَيثُ قالَ لِشَعْبِه: أَنَا رَبُّكُمُ

الأَعْلَى.. وكَفَر بعبَادَةِ اللَّهِ الواحِدِ.. كَانَ هذا الخروجُ بأَمْرٍ مِنَ اللّهِ تَعَالَى إِلَى رَسُولِهِ مُوسَى - عليه السلام - حَيْثُ قَالَ له: ﴿فَأَسْرِ بِعِبَادِى لَيْلًا إِنَّكُمْ مُتَّبَعُونَ﴾

وكانَ مِن عادةِ النِّساءِ الإِسْرائيليَّاتِ أن يَقْترِضْنَ ذهَبَ المِصْرِيَّاتِ وحُلِيِّهِنَّ عِنْدَمَا يَحْتَاجُونَهُ للزِّينةِ - وَالْمِصْرِيَّاتُ كَرِيمَاتُ الطَّبعِ.. لا يَرفُضْنَ ذلك أبدًا... فَلَمَّا أَتَى أَمْرُ الْخُروج سِرًّا... وليلًا... أَخَذَتِ الإِسْرائِيلِيَّاتُ معَهُنَّ الذَّهَبَ الْمُسْتَعارَ... وَمَضَيْنَ بِه... فى مَسِيرَتِهِنَّ إلى سَيْنَاءَ، وكان ذَلِكَ بدُونِ عِلْمِ مُوسَى... عليه السلام.

وفى اللَّيْلةِ الْمُتَّفقِ عَلَيْها خَرجَ مُوسى مَع بنِى إسرائيل.. مُتّجِهِينَ إلى نَاحِيةِ خَلِيجِ السُّوَيْس.. لِيَعْبُرُوه إِلى سِيناءَ.. يَقُولُ الْمُفَسِّرُون ورجالُ التاريخِ: إنَّ عَدَدَهُم كانَ أكثرَ من سِتِّمائَةِ ألفٍ.

خَرَجُوا مِنْ مصرَ.. ومَعَ نِسائِهم الذَّهبُ والفضَّةُ والحُلِىُّ والجَوَاهِرُ الَّتى حَصلُوا عليها مِنَ النساءِ المصريَّاتِ.. وكان مِنْ بَينهِمْ رَجُلٌ اسْمُه السَّامرىُّ.. وهو إسْرائيلىٌّ يشْتَغلُ بالسِّحرِ.. وكان الجُهَلاءُ مِنَ المصريِّين يَقْصِدُونَه لعَمَلِ الأحْجِبَة الّتى تَحْمِيهِم مِنَ الشرِّ.. وَإظْهَارِ المسرُوقَاتِ..

وفى نَفْسِ هذه اللَّيلَةِ.. وبعدَ خُروجِ بنى إسرائيلَ مِن مصرَ.. وصَلَ الخبرُ إلى فِرْعَوْنَ.. فَقَامَ خلْفَهم على رأْسِ جيشٍ كَثِيرِ العَدَدِ.. مُجَهَّزٍ بالمُعِدَّاتِ الْحَربيَّةِ.. ليَلْحَقَ بهم قَبْل بُلُوغِهم البحرَ لقَتْلِهِمْ..

## التُّرابُ الحيُّ:

وصَلَ موسى - عليه السلامُ - ومعهُ بنُو إسرائيل.. إلى سَاحِلِ البحْرِ.. ووَصَلَ إلى سَمْعِهم ضَجِيجُ جيشِ فرعونَ.. وصَهِيلُ خَيْلِهِمْ.. وصَرَخَاتُ فرْعَونَ.. فَخَافُوا وفَزِعُوا.. وقَالُوا لمُوسَى أيْنَ نَهْرُب؟ خَلْفَنَا الجَيْشُ.. وأَمَامَنا البَحْرُ.. فَمَاذَا تَصْنع؟.. فقال لهم موسى: ﴿إنَّ مَعِيَ رَبِّى سَيَهْدِينِ﴾.

فأَوْحَى اللَّهُ إليه أن يَضْربَ البَحْرَ بعَصَاهُ.. فضَرَبَهُ.. عندَ خَليجِ السُّويسِ.. وكان الخَلِيجُ يمْتَدُّ إلى البُحَيْرَاتِ المُرّة.. قُرْبَ الإسمَاعِيليَّة.. فانْشَقَّ الخَلِيجُ.. وكَشَفَ الماءُ عنْ طَرِيقٍ واسعٍ.. تجمَّدَ الماءُ على جانِبَيْه. فنزَلَ فيه موسى - عليه السلام - ومعه قومُه.. إلَّا السَّامِرِىّ، الذى وقفَ على الشَّاطِئِ.. لِيَرَى ماذا يَصْنَعُ فرعونُ وجنودُه.

وصلَ فرعونُ.. على عَجَلَتِه الحربيَّة.. وخَلْفَه الأمراءُ والوزراءُ والقُوَّادُ والجنودُ.. فلما رأى انْشِقَاقَ البَحْرِ.. ضَربَ الحصانَ الذى يَجُرُّ عَجَلَتَهُ الحربيَّةَ بالسَّوْطِ.. لينزلَ أمامَ الجنودِ فَيَتْبَعُوهُ.. ولكنَّ الحصانَ جَمَحَ وتَرَاجَعَ.. وكَأَنَّه يَرى الموتَ واقفًا له فى هذا الطَّريقِ.. وحاول فرعونُ إنْزَالَه فلم يَنْزِلْ..

فهبط جبريلُ - عليه السلام - وهو أَحَدُ كبارِ الملائِكَةِ.. راكبًا فرسًا أُنْثَى.. يُسمِّيهَا المفسِّرونَ - حَيْزَبُون - وعلى جبريلَ عِمَامةٌ سوداءُ.. فَتَقَدَّم أمامَ جيشِ فرعون.. وخَاضَ الطريقَ الجديدَ الواسعَ فى البحرِ.. وظَنُّوا أن فرسَ جبريلَ عليه السلام منهم.. فلما رأى حصانُ فرعونَ.. هذا الفرسَ يَسيرُ على الطَّرِيقِ.. أَسْرَعَ خَلْفَهَا.. وهو يَجُرُّ عَجَلَةَ فرعونَ الحربية.. ونزلَ الجيشُ خلْفَ قائِدِه المَلِك.

ورأَى السامِرِيُّ.. وهو واقِفٌ بالشَّاطِئِ.. فَرَسَ

جِبْرِيل - عليه السلام - فَعَرَفَهَا.. وكان حَافِرُهَا لا يَمَسُّ شيئًا إلَّا سَرَتْ فِيه الحيَاةُ.. بمَعْنَى أنَّها إذا مَسَّتْ التُّرَابَ بِحَافِرِهَا.. دَبَّت الحَيَاةُ فى التُّرَابِ وتَحَرَّكَ.. ولهذا يُسمِّيهَا المُفَسِّرُونَ والعُلَمَاءُ - فَرَسَ الحَيَاةِ - فأخذَ السَّامِرِىُّ قَبْضَةً من هذا التُّرابِ المُتَحَرِّكِ الحَىِّ.. لِاستعْمَالِه فى أَغْرَاضِه السحرِيَّة.. وفَرِحَ به فرحًا كبيرًا.. ثم انْطَلَقَ مثلَ الرِّيحِ.. فلَحِقَ ببنى إسرائِيل.. وهو فى وَسَطِ البَحْرِ.. وخَرَجَ مَعَهم إلى الشَّاطِئِ الآخَر.. فِى سيناء.

وعندما خرجَ موسى ومَنْ مَعَهُ من البحْرِ.. كان فرعونُ وجنودُه فى مُنْتَصَفِ الطَّرِيقِ يَظُنُّون أنَّهم سيلْحَقُون بموسى وقومِه.. ولكنَّ اللَّهَ تعالى جَعَل الأمْوَاجَ المُتَجَمِّدَةَ تَنْهَارُ عليْهم فأَغْرَقَتْهُمْ جميعًا.. ولم يَنْجُ منهمْ أحدٌ.. وذلك لكُفْرِهِم وعِنَادِهِم.. وامْتِنَاعِهِم عن عِبادَةِ اللَّهِ الوَاحِدِ..

## عِجْلُ السَّامِرِىّ:

بعد أن نَجَا مُوسى - عليه السلام - من الغَرَقِ هو ومَنْ مَعَه.. من بَنِى إسرائيل.. طَلَبَ اللَّهُ تعالَى مِنْه أن يَخْتَارَ سَبعينَ رَجُلًا مؤْمنًا.. من بنى إسرائيل.. ويَصْعَدَ بِهِم الجَبلَ.. لِيُنْزِلَ علَيْهم التَّوْرَاةَ.. وفيها ما يَأْمُرُهُمْ بِهِ مِنْ مَعْرُوفٍ.. وما يَنْهَاهُمْ عنه من مُنْكَرٍ.. فاخْتارَ موسى أَخَاه هارونَ - عليه السلام - ليكون نَائبًا عنه فى

حُكْمِ بنى إسرائيل.. ثم صَعَدَ هو ورِفَاقُه الجبَلَ.. وتلَقَّى التورَاةَ فى مُدَّةِ ثَلاثِينَ يَومًا هى شهرُ ذِى القَعْدَة.. ولكنَّ اللَّهَ سبحانَه وتعالى أمرَه بالبَقَاءِ عَشْرَةَ أيَّامٍ أُخَر هى العشر الأوائلُ من شهرِ ذِى الْحِجَّة.

وَلَمَّا لَمْ يَعُدْ مُوسَى - عَلَيْه السَّلامُ - بَعْدَ الثَّلاثِينَ لَيْلَةً.. بَدَأَ السَّامِرِىُّ فِى عَمَلِ حِيلَةٍ دَنِيئَةٍ.. لِيَشُدَّ إِلَيْهِ الأَنْظارَ.. قَالَ السَّامِرِىُّ لِبَنِى إِسْرائِيلَ: إِنَّ مُوسَى لَمْ يَعُدْ مِنَ الْجَبَلِ بِسَبَبِ ما مَعَكُمْ مِنَ الحُلِىِّ وَالذَّهَبِ.. الَّذِى أَخَذْتُمُوهُ مِنَ الْمِصْرِيِّينَ.. فَهُوَ حَرامٌ عَلَيْكُمْ.. لأَنَّكُمْ حَصُلْتُمْ عَلَيْهِ بِطُرُقٍ غَيْرِ مَشْرُوعَةٍ.. وَطَالَبَهُمْ بالتَّخَلُّصِ مِنْهُ.

يَقُولُ اللَّهُ تَعالَى عَلَى لِسَانِ بَنِى إِسْرَائيلَ فى حِيلَة السَّامِرِىِّ الدَّنِيئَةِ لَهُمْ: ﴿حُمِّلْنَا أَوْزَارًا مِنْ زِينَةِ القَوْمِ فَقَذَفْنَاها فَكَذٰلِكَ أَلْقَى السَّامِرِىُّ﴾. وَالأَوْزَارُ يَعْنِى الذُّنُوبَ.. وَزِينَةُ القَوْمِ يَعْنِى حُلِىَّ المِصْرِيَّاتِ..

ثُمَّ حَفَرَ لَهُمْ حُفْرَةً.. أَشْعَلَ فِيها نِيرانًا شَدِيدَةً.. وَطَلَبَ مِنْهُمْ إِلْقَاءَ مَا مَعَهُمْ مِنَ الذَّهَبِ.. فِى تِلْكَ النَّارِ. فَصارَ كُلُّ رَجُلٍ وَكُلُّ امْرَأَةٍ.. يَتَخَلَّصُ مِنَ الحُلِىِّ الَّتِى عِنْدَهُ حِرْصًا عَلَى إِرْضاءِ مُوسَى - عَلَيْهِ السَّلامُ - وَعَدَمِ إِغْضابِهِ.. وأَلْقَى بِها فِى النَّارِ.. فَانْصَهَرَ الذَّهَبُ كُلُّهُ.. وَصارَ سَبِيكَةً ذَهَبِيَّةً كَبِيرَةً..

ثُمَّ سَوَّلَتْ لَهُ نَفْسُهُ الخَبِيثَةُ.. أَنْ يَعْمَلَ شَيئًا مِنْ هَذَا الذَّهَبِ.. يُلْفِتُ إِلَيْهِ الأَنْظارَ.. وانْتَهَزَ فُرْصَةَ غِيابِ مُوسَى - عَلَيهِ السَّلامُ - عَلَى الجَبَلِ - يَتَلَقَّى رِسالَةَ اللَّهِ - فَفَكَّرَ فِى عَمَلِ عِجْلٍ.. مِنَ الذَّهَبِ الَّذِى عِنْدَهُ.. وَوَضَعَ فِى حَنْجَرَتِهِ التُّرابَ الحَىَّ.. الَّذِى أَخَذَهُ مِنْ أَثَرِ فَرَسِ جِبْرِيلَ.. فَدَبَّتِ الحَياةُ فِى حَنْجَرَةِ الْعِجْلِ.. وَخارَ كَمَا يَخُورُ البَقَرُ.. وَصَوْتُ البَقَرِ اسْمُهُ - «خُوارٌ» - وَاغْتَرَّ بِذَلِكَ السَّامِرِىُّ.. فَكَفَرَ.. وارتَدَّ عَنْ عِبَادَةِ الله. عَجِبَ النَّاسُ.. وَقَالُوا: كَيْفَ يَخُورُ العِجْلُ.. وَهوَ مِنَ

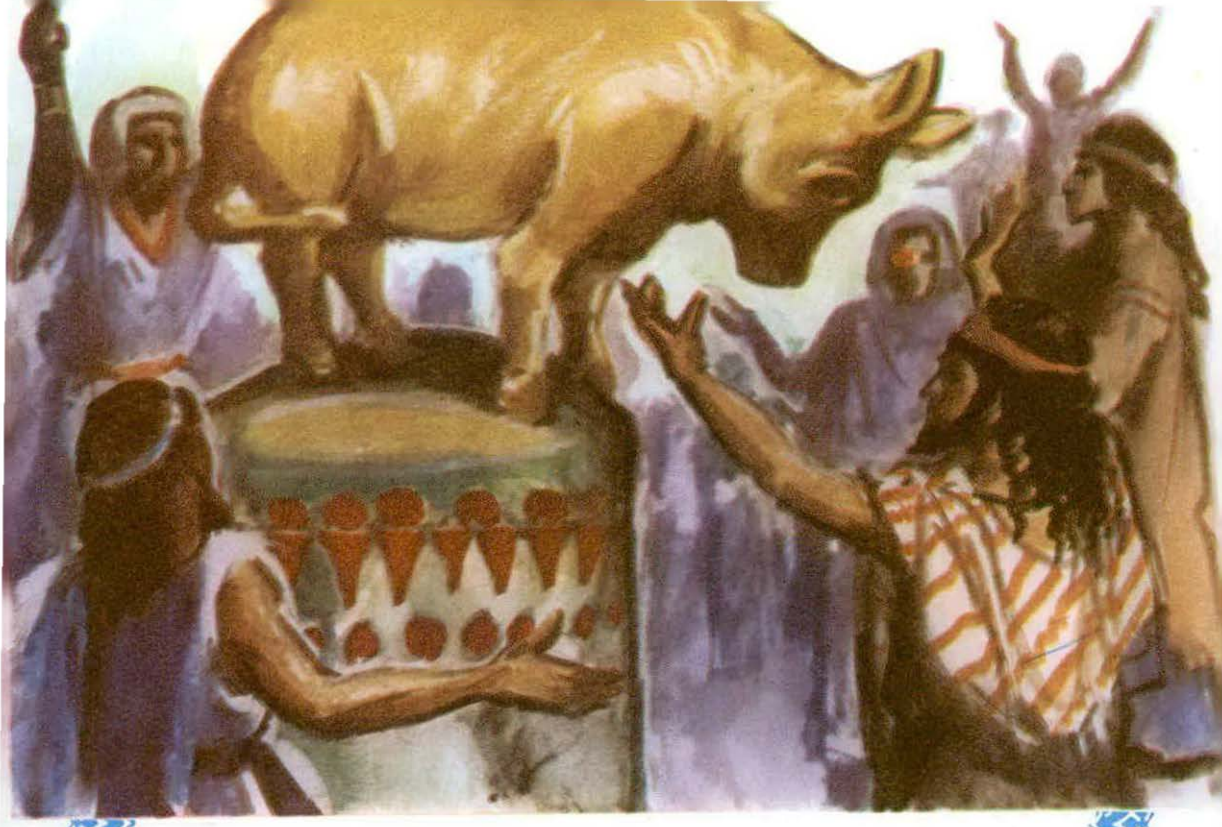

الذَّهَبِ؟ فَقالَ لَهُمُ السَّامِرِيُّ: هٰذا هُوَ اللَّهُ.. نَسِيَهُ مُوسَى هُنَا.. وَذَهَبَ لِيَلْقَاهُ عَلَى الْجَبَلِ..

يَقُولُ تَعَالَى: ﴿فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُوارٌ، فَقالُوا هٰذَا إِلَهُكُمْ وَإِلٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِيَ﴾ وَالْجَسَدُ: يَعْنِي الذَّهَبَ الخَالِصَ.

وَسَمُّوا العِجْلَ «بَهَمُوثَ» وَبِسُرْعَةٍ أَحَبُّوهُ.. وَعَبَدُوهُ.. وصَارُوا يَرْقُصُونَ حَوْلَهُ ويُغَنُّون.. وَهُمْ يَعْتَقِدُونَ أَنَّه إِلَهٌ..

وَكانَ السَّامِرِيُّ سَعِيدًا بِخُبْثِهِ وَذَكائِهِ.. لأَنَّهُ أَرْجَعَ النّاسَ إِلَى الكُفْرِ.. بِعِبَادَةِ العِجْلِ.. وَلَمْ يَمْتَنِعْ عَنْ عِبادَةِ العِجْلِ.. غَيْرَ اثْنَيْ عَشَرَ أَلفاً.. مِنْ سِتِّمِائَةِ أَلْفٍ.

* * *

## نهايةُ السامرِيّ وعجْلِه:

أَخْبرَ اللَّهُ تعالى موسى - عليه السلام - بأَنَّ قومَه عَبدُوا العجلَ.. وكَفَرُوا باللَّهِ.. فَغَضِبَ موسى - عليه السلام - وعادَ مسرعًا إلى قومِهِ.. ورآهم من بَعِيدٍ.. وهم يَعْبُدُونَ العجلَ.. ويطُوفُونَ حولَهُ.. وهُمْ يرْقُصُونَ.. فاشتدَّ غضبُه.. واتَّجه إلى أخيهِ هَارون.. يلومُه.. فقال له هارونُ: إنَّ السامرِيَّ هو الذى أضلَّهُمْ.. وصَنَعَ هذا العجْلَ.. وقال لهم: هَذَا هو إلهُ موسى.. وخَشِيتُ أنْ أتدخَّلَ بَيْنَهُمْ فيتفرَّقُوا، وانْتَظرْتُ حتى تَعُودَ من الجبلِ.

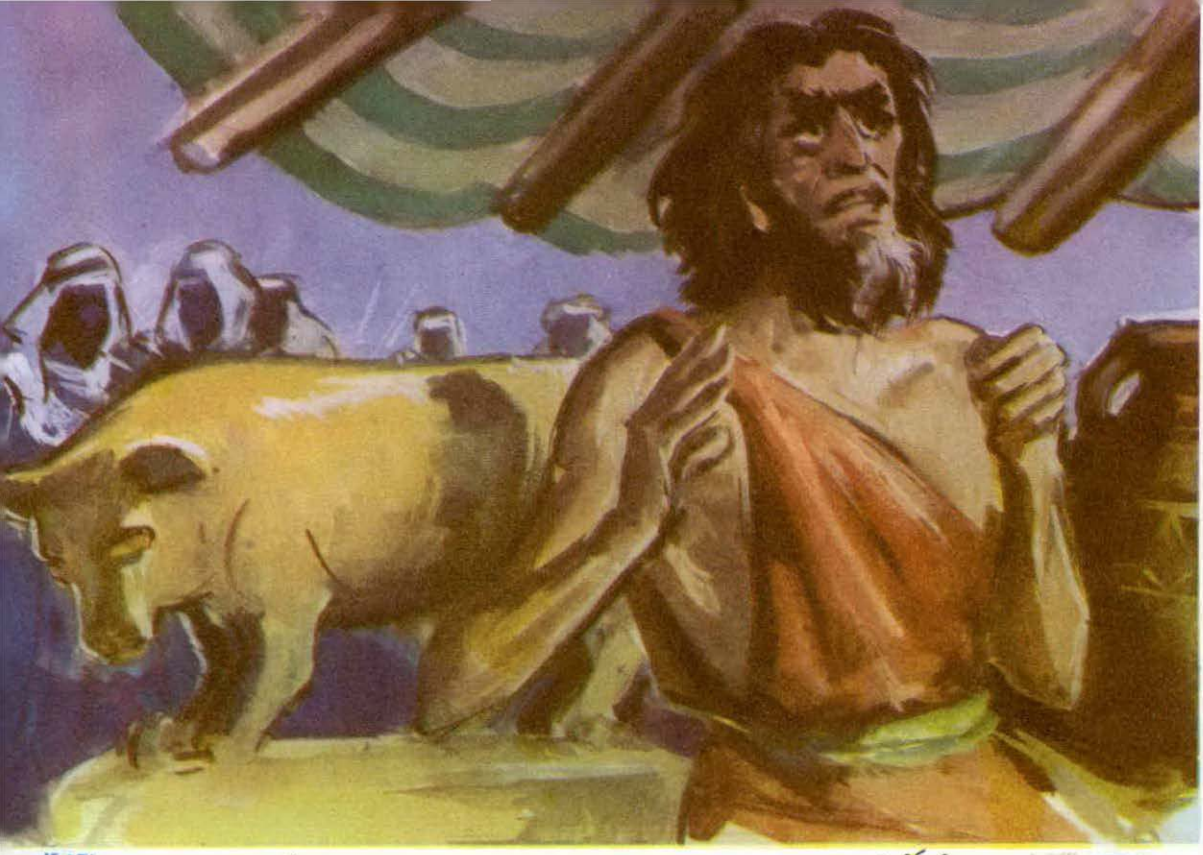

فاسْتَدْعَى موسى - عليه السلام - السامرىَّ.. وقال له: ماذا فعلتَ يا سامرىّ.. كيف تَسَبَّبْتَ فى كُفْرِ القومِ ؟.. يَذْكُرُ اللَّهُ لنا هذَا الموقفَ.. فى قوله تعالى عن موسى عليه السلام: ﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَا سَامِرِىّ﴾ أى: ماذا حدثَ منكَ يا سامرىّ !!

وردَّ عليه السامرىُّ.. فَقالَ:

﴿قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ﴾ أَىْ رأيتُ أشياءَ..

لم يَرَهَا الناسُ.. وهو يَقْصِدُ فرسَ جبريل عليه السلام - ﴿فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِنْ أَثَرِ الرَّسُولِ﴾ يعنى أخذتُ مقدارًا من التُّرابِ الحىِّ الناتجِ من أَثَرِ فرسِ جبريل - عليه السلام - (فَنَبَذْتُهَا) أى ألقَيْتُهَا فى فَمِ الْعِجْلِ الذَّهَبِ.. فَحَصَلَ منه الْخُوَارُ.

ويُكْمِلُ السَّامرىُّ كلامَه فَيقُولُ:

﴿وَكَذَلِكَ سوَّلَتْ لِى نَفْسِى﴾ يعنى أَغْرَتْنِى نَفْسى.

* * *

وابتلاهُ اللَّهُ - سبحانَهُ وَتعالَى - بمرضٍ مُعْدٍ بجِلْدِه... وظل يتألَّمُ مِنه ألمًا شديدًا... لا يُطِيقُهُ بشرٌ... فكان يَصِيحُ.. وهو يَجْرِى من الناسِ كالمَجْنُونِ.. ويقول: لا مِسَاسَ.. لَا مِسَاسَ.. أى لا يَمُسَّنِى أحدٌ..

يقول الله تعالى عن كلامِ موسى - عليه السلامُ - للسَّامِرِىّ: ﴿فَاذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فى الحَيَاةِ أَنْ تَقُولَ

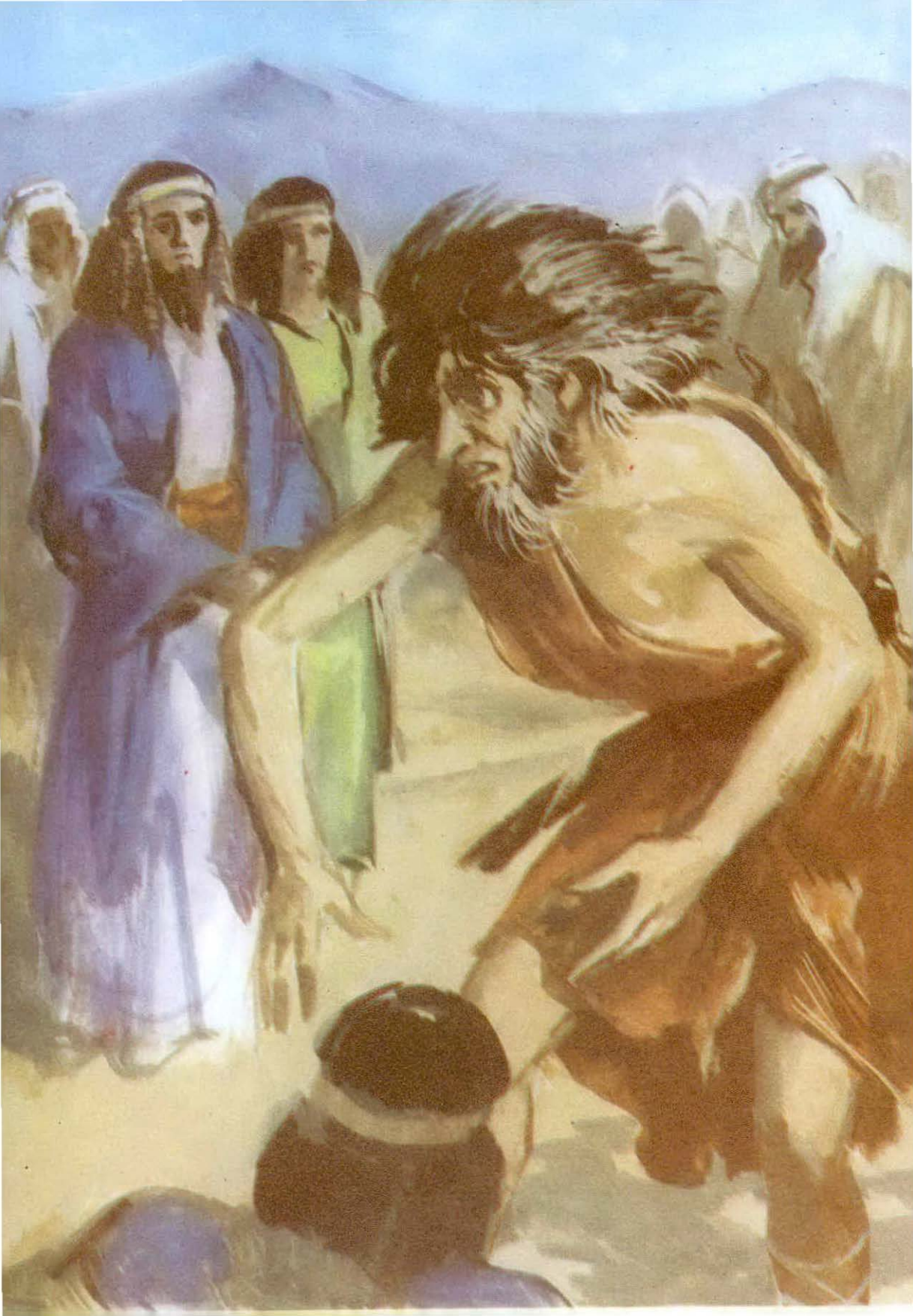

لَا مِسَاسَ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَنْ تُخْلَفَهُ﴾. يُذَكِّرُه موسى - عليه السلامُ - بموعدِه يومَ القيامةِ.. حيثُ يكونُ مصيرُه إلى النارِ..

وصارَ السامريُّ.. كالقَاتِلِ الهاربِ فى الجبلِ.. والوَحشِ النَّافِرِ فى الصحراءِ.. حتى أهلكه الله تعالى.

أما العجل الذهب فقد حرَّقه موسى أمامَ قَوْمِه.. ثم قَذَفَ به فى البحر.

يقول تعالى:

﴿وَانْظُرْ إِلَى إِلٰهِكَ الَّذِى ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا. لَنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنْسِفَنَّهُ فِى الْيَمِّ نَسْفًا﴾.

ثم دعَا مُوسى وهارونُ ربَّهُمَا.. ليرفَعَ عنْهُم البلاءَ.. فَقَبِل اللَّهُ دعاء موسى وهارون.. وكشفَ عنهم البَلاءَ.. وعفَا عنهم.. ولكنّ بنى إسرائيل دائِمًا يَعُودونَ إلى مَعْصِيةِ اللَّهِ تعالى.

ولَقَدْ أَخْبَرَ اللَّهُ سبحانَه وتَعالى بِهَذِه القِصَّة فى سُورةِ طَهَ:

بسمِ اللَّهِ الرَّحمنِ الرَّحيمِ

﴿قال فإنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِىُّ، فَرَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفاً، قالَ يا قَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًا، أَفَطالَ عَلَيْكُمُ الْعَهْدُ أَمْ أَرَدْتُمْ أَنْ يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُمْ

مَوْعِدِى، قَالُوا مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا وَلَكِنَّا حُمِّلْنَا أَوْزَارًا مِنْ زِينَةِ القَوْمِ فَقَذَفْنَاهَا فَكَذَلِكَ أَلْقَى السَّامِرِىُّ فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُوَارٌ فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ وإِلَهُ مُوسَى فَنَسِىَ. أَفَلا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا﴾.

وفى مَوْقِعٍ آخَرَ من نَفْسِ السورَةِ الكريمةِ يقولُ:

بسمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحيمِ

﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَا سَامِرِىُّ، قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُروا بِهِ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِنْ أَثَرِ الرَّسُولِ فَنَبَذْتُها وَكَذٰلِكَ سَوَّلَتْ لِى نَفْسِى. قَالَ فَاذْهَبْ فإِنَّ لَكَ فِى الْحَياةِ أَنْ تَقُولَ: لا مِسَاسَ، وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَنْ تُخْلَفَهُ وَانْظُرْ إِلَى إِلٰهِكَ الَّذِى ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا، لَنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنْسِفَنَّهُ فِى اليَمِّ نَسْفًا، إِنَّما إِلٰهُكُمُ اللَّهُ الَّذِى لَا إِلٰهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ كلَّ شَىْءٍ عِلْمًا﴾.

«صدق الله العظيم»

# عجائب المخلوقات
# في كتاب الله

صدر منها :

١ - البقرة العجيبة

٢ - التابوت الطائر

٣ - ناقة الله

٤ - عصا موسى

٥ - العِجل الذهب

٦ - شجرة يونس